رفيق سعيد

تلك الصحافة الفرنسية المغرضة !...

اولئك الذين عاشوا يوميا اعمال المؤتمر العام للاونسكو واهتموا به اهتماما غير انتقائي ، اذ تابعوا عن كثب مجموع القرارات التي اتخذتها المنظمة والتي ينبغي النظر اليها من حيث عددها وتنوعها ونزعتها الشمولية ، ادهشهم ان يروا الصحافة العالمية تصمت عن معظم النقاط الهامة التي اثيرت ونوقشت خلال هذه الدورة الثامنة عشرة وتشن بالعكس حملة صحفية حقيقية لمجرد ان تدرج في جدول الاعمال مسالة تمس اسرائيل .

وهكذا لم يطلع الجمهور الواسع عمليا الا على القرارات الاربعة التالية :

١) القرار الاول ، في مشروع لتعديل النظام الداخلي للمؤتمر العام ، يدعو منظمة التحرير الفلسطينية ، التي تعترف بها دول الجامعة العربية ، الى المشاركة بصفة مراقب في اعمال المؤتمر العام ونشاطات الاونسكو في مجموعها .

٢) القرار الثاني المتخذ برفض اقتراح اسرائيل بان تدرج في لائحة البلدان المفوضة بالاشتراك في النشاطات الاقليمية الاوروبية .

٣) القرار الثالث « يدعو المدير العام الى الامتناع عن تقديم معونة لاسرائيل في ميادين التربية والعلوم والثقافة ، الى ان تحترم احتراما دقيقا القرارات التي اتخذها المجلس التنفيذي والمؤتمر العام . »

٤) والقرار الرابع اخيرا يدعو المدير العام الى المرافبة الكاملة لسير المؤسسات التربوية والثقافية في الاراضي العربية المحتلة، والى التعاون مع الدول العربية المعنية ومنظمة التحرير الفلسطينية لتأمين جميع الوسائل لسكان الاراضي العربية التي تمكنهم من ممارسة حقوقهم في التربية والثقافة .

ويعبر هذا القرار ، من جهة اخرى ، عن « الامل الوطيد بان تلحق فلسطين بالمجموعة الدولية بعناية المنظمات الدولية ، ولا سيما الاونسكو » .

هذه القرارات الاربعة فسرت كما لو انها مرتبطة اساسا بمسعيين اضافيين :

ـ اولهما يرمي الى حد التعاون وتقاربه مع اسرائيل .

ـ والثاني يؤكد ما جرى في الامم المتحدة اذ يميل الى توسيع العون المادي والمعنوي للفلسطينيين .

كتب ب. ايمانويل في عدد ٢٩ تشرين الثاني ١٩٧٤ من «الفيغارو»:

« نصر خارق للقضية الفلسطينية ادى في اربعة ايام الى ان يجعل من ياسر عرفات الرئيس الشرعي لدولة فلسطينية معترف بها ضمنا من الجميع يتضمن وجودها الحقيقي ، الذي طرحته الامم المتحدة كامر مسلم به ، تدمير دولة اسرائيل تدميرا كاملا . انتكاسة خارقة للدولة اليهودية التي تبعد ابعادا مفاجئا لا مثيل له ... » الخ .

على انه يبدو ان الصحافة بمجموعها لم تحفظ من هذين المسعيين الا اولهما وانها فسرت كل شيء ، كما لو انه اعمال عدوانية او ثأرية او معاقبة لاسرائيل . لقد اوردت قرارات الاونسكو بعبارات انتهاك واجرام ضد العقل والحس السليم والانسانية قاطبة في بعض المقالات المعنونة مثلا « سياسة كبش المحرقة » (عدد ٢٩ تشرين الثاني من الفيغارو) .

يخرج اذن من مواقف الصحافة بصورة عامة امران مهمان :

١ ـ دعاية مسرحية معطاة لمسالة « المناطق » دون سواها .

٢ ـ ولكنها دعاية مغرضة منحازة لانها تغذي بوعي او لا وعي سوء تفاهم بارعا ، باعتبار ان « عدم ادراج » دولة اسرائيل في المنطقة الاوروبية انما فهم وفسر على انه طرد واضح ، ثم بتعميم المعنى « الغاء روحي » لاسرائيل ، ومحو من خارطة الكرة ، و « تدمير » و « ابادة » الخ ...

المثقفون والاونسكو

« لوموند » تاريخ ١ ـ ٢ كانون الاول ١٩٧٤ ـ اعلان دعائي :

« رفضت الاونسكو ادراج اسرائيل في منطقة معينة من العالم ... فاذا لم تحدد اسرائيل لا في آسيا (كأوستراليا) ولا في اوروبا (ككندا) ، فلانها ليست في اي مكان : اي انها ليست موجودة ... لا يحق لاسرائيل ان توجد ، فهي اذن غير موجودة . والاعدام الروحي لاسرائيل يبرر اعدامها المادي . انها طريقة الابادة مطبقة بكليانية القرن العشرين . ومعلوم انها كلفت حياة عشرات الملايين من الرجال والنساء . »

« الاكسبريس » ٢٥ تشرين الثاني ـ اول كانون الاول ١٩٧٤ :

« جميع بلدان العالم اليوم تسهم في سياق تدمير دولة اسرائيل. فالقوى الغربية مع البلدان اللاتينية والاميركية واليابان تبتعد اكثر فاكثر عن الاسرائيليين بشكل صريح . وقد منع ممثل اسرائيل في الامم المتحدة منعا كاملا تقريبا من حق المنبر في هذه الدورة الاخيرة التي شهدت تألق ياسر عرفات . واكثر من ذلك ، طردت اسرائيل من الاونسكو » (ج. ف . ريفيل) .

« الفيغارو » ٢٢ تشرين الثاني ١٩٧٤ :

« الحملة التي ترمي الى طرد اسرائيل من جميع نشاطات الاونسكو تستمر في مقر المنظمة حيث رفض اقتراح ادراج دولة اسرائيل في منطقة اوروبا بـ ٤٨ صوتا مقابل ٣٣ صوتا و ٣١ دولة ممتنعة بينها فرنسا . »

« الفيغارو » ٢٩ تشرين الثاني ١٩٧٤ :

« اسرائيل غير موجودة بعد ، بالنسبة للمجتمع الدولي .. ذلك ان اسرائيل ، باعتبارها حرفيا غير موجودة بالفعل ، فان تصفيتها لا ينبغي الا تطرح الا مسالة الامر الواقع (ب. ايمانويل) .

هذا المنطق المنهجي نوعا ما يشرح جميع ردود الفعل الاخرى التي، حتى ولو كانت في ظاهرها اكثر اعتدالا ، تتخذ في التعبير اشكالا اكثر سخرية :

« لوبوان » عدد ١١٥ تاريخ ٢ كانون الاول ١٩٧٤ :

« يبدو ان الاونسكو قررت ان اسرائيل لا تنتمي الى اية قارة في هذه الكرة . وانا في قراءتي مسرور سرورا كافيا بموقف الاونسكو هذا اللامعقول : كنت احدس دائما ان هذا هو صميم الموضوع : لا بد ان اليهود من سكان المريخ » (كلمات ضابط اسرائيلي اوردها ج. سوفير).

ويكتب الصحفي في مقطع اخر :

« للمرة الاولى تطرد الاونسكو دولة عضوا من نشاطاتها الاقليمية. لقد تجاهلت فرانسواز جيرو في الاسبوع الماضي دعوة هذه المنظمة العجيبة ، فقالت : « الاونسكو ؟ لا اعرفها ! » وهكذا كشفت الاونسكو مكان وجودها : في عالم اللامعقول والمحال ، يعني في لا مكان ! »

« الفيغارو ، ٢٣ تشرين الثاني ١٩٧٤ ـ جغراسيا (جغرافية سياسية) :

« يجب ان نصحح كتبنا المدرسية . فالولايات المتحدة وكندا ، في رأي جغرافية الاونسكو التوزيعية ، هما في اوروبا ، وروسيا هي في الصين ، واسرائيل في لا مكان . »

ان لهجة الصحافة تتراوح بشكل عام بين السخرية والسخط .

وقد علق على القرارات الاخرى التي اتخذها المؤتمر العام للاونسكو على ضوء ذلك القرار وفي سخونة الافكار التي اثارها الانتصار الذي احرزته منظمة التحرير الفلسطينية في الامم المتحدة . من هنا المأخذ الجماعي الذي اخذ على القرار الثاني الذي يدعو المدير العام الى الامتناع عن تقديم المعونة لاسرائيل في ميادين التربية والعلوم والثقافة الى ان تحترم احتراما دقيقا القرارات التي اتخذها المجلس التنفيذي والمؤتمر العام .

كتبت « الفيغارو » يوم ٢٤ تشرين الثاني ١٩٧٤ تحت عنوان « الاونسكو تعاقب الحكومة العبرية » تقول :

« سبق هذه القرارات نقاش طويل بيّن مندوب اسرائيل خلاله الى اي حد يمس النص المتخذ قواعد المنظمة القانونية » .

وفي « الفيغارو » يوم ٢٢ تشرين الثاني ١٩٧٤ :

« ان المؤتمر العام للاونسكو اذ اید بغالبيه كثيفة قرار لجنته الثقافية الذي يدين اسرائيل ، انما اتخذ قرارا سياسيا ... ليس ثمة من يجادل في ان القرار الذي اتخذه مساء الاربعاء المؤتمر العام للاونسكو يندرج في خط الهجوم العام الذي تقوده البلاد العربية وزبائنها من العالم الثالث لعزل اسرائيل عزلا دبلوماسيا . » (تيبري مولنيه)،

وكتب السيد رينه ماهو المدير العام السابق للاونسكو في جريدة « لوموند » يوم ٢١ تشرين الاول ١٩٧٤ يقول :

« هناك سؤالان مطروحان . الاول هو : قسوة مشروع القرار الذي يدين ، في مقطعه الثاني ، اسرائيل لمضيها في تغيير الطابع التاريخي لمدينة القدس وقيامها بحفريات تشكل خطرا على مبانيها الاثرية ـ هذه القسوة هل هي مبررة ؟ والسؤال الثاني هو : وقف المساعدة لاسرائيل، هل هو افضل وسيلة لتنمية فعالية عمل المنظمة ؟ »

وينهي السيد رينه ماهو مقاله بهذه العبارة : « كيف اذن يجري تبني سياسة عقوبات ، من أجل القدس ، ستكون بفعل قوة الاشياء سياسة غياب ؟ »

ان ظهور مقال المدير العام السابق للاونسكو حول هذا الموضوع قبل دقائق من التصويت على القرار نفسه يكشف عن الجو المحموم الذي خلقته الصحافة حول هذا النقاش .

اما دخول منظمة التحرير الفلسطينية بصفة مراقب دائم والقرار الذي اتخذه المؤتمر العام والذي يدعو المدير العام الى « مراقبة سير المؤسسات التربوية والثقافية في الاراضي المحتلة » فانهما لم يعلق عليها في الصحف الا تعليقا ضئيلا نسبيا . غير ان هذين القرارين لا يفلتان مع ذلك من شجب الصحافة ، (وان كان شجبا غير عنيف) ازاء ما تعتبره عملا تمييزيا وعدوانيا تجاه اسرائيل .

وقد حاول توضيحان هامان نشرا في « الوند » وضع حد لهذه المعارضة العامة الكثيفة :

١ ـ ففي جريدة « لوموند » (٤ كانون الاول ١٩٧٤) توضح الاونسكو مدى القرارات المتخذة ازاء اسرائيل وتصحح التشويهات التي قامت بفعل اخبار متعجلة ، وغالبا غير كاملة .

٢ ـ تصريح للمدير العام الجديد السيد مبو نشرته « لوموند » يوم ٧ كانون الاول ١٩٧٤ وفيه يكرر التوضيح الاول مبررا وموسعا اياه . (١)

والمناقشات التي ثارت حول هذه النقط الخاصة قد اتخذت صورة فكرة عامة عن « التسييس » المتفاقم في المنظمة التي اصبحت ، في رأي الصحافة ، منبرا سياسيا حقيقيا لتعميق الخلافات الدولية بدلا من تجاوزها .

وكتب تيبري مولنيه في عدد ٢٢ تشرين الثاني من « الفيغارو » يقول :

« هنا يكمن حقا ما هو خطير . فليس للاونسكو ان تتعاطى السياسة وان تضع نفسها في خدمة المصالح السياسية . فاذا تابعت سيرها في هذا السبيل ، واذا اتضح انها ليست بعد الآ آلة حرب بين ايدي اكثرية اهدافها غير ثقافية ، فتلك مسألة ضمنية تطرح على الامم الغربية التي تؤمّن ، كما هو معروف ، تمويل الميزانية التي يحظر على اسرائيل الافادة منها . »

وتتحدث « الفيغارو » ايضا في عدد ٢٧ تشرين الثاني عن «السيرك» الذي اصبحته منظمة الاونسكو ... وكتبت « لوموند » في عدد ٢٤ تشرين الثاني تقول : « ان تسييس مناقشات المؤتمر العام للاونسكو الذي كانت اسرائيل اولى ضحاياه تاكد يوم الجمعة خلال درس القرار ـ السلسل حول اسهام المنظمة في مسائل السلام . »

وقبل ذلك بأيام ، كانت مقاطع من رسالة رينه كاسان الى السيد ماهو قد ظهرت في هذه الجريدة نفسها على النحو التالي :

« الس يخشى ، في اللحظات الاخيرة من عهدك اللامع ، ان تصبح الاونسكو ضحية الفكر المناصر لاولئك الذين يريدون تحويل المنظمة

---

(١) راجع ترجمة هذا التصريح في مكان آخر من هذا العدد (تحرير الاداب) .

العالمية الى « آلة حرب سياسية » بحصولها على طرد احد اعضائها ، وهي اسرائيل ، وارثة التقاليد السحيقة التي اسهمت في تنوير الانسانية قاطبة ؟ »

وتصف الصحيفة الباريسية اليومية الاونسكو في عدد ٢٥ تشرين الثاني بانها « دساسة سياسة » :

« ان الدورة الثامنة عشرة للاونسكو التي انتهت يوم السبت في باريس بعد ستة اسابيع من العمل ستسجل منعطفا في تاريخ المنظمة. والواقع انه لم يحدث قبل الان ، كما لاحظ جميع المراقبين ، ان سيست مناقشاتها الى الحد الذي سيست به في تلك الدورة . »

ويرى كثير من الصحفيين في هذا التسييس افلاس المهمة التربوية والثقافية للمنظمة ويفسرونه على انه نكوص عن رسالتها وانكار لمبادئها نفسها .

وقد خصصت « لوموند » افتتاحية عددها يوم ٢٥ تشرين الثاني لهذا الموضوع :

« ان التشوش في الاونسكو ، المرصودة للتربية والثقافة والفنون، والمعتقد انها الحرم الاخير لسلام النفوس ـ ان التشوش يبلغ حد الهزل والسخرية . »

ويحاول السيد مبو المدير العام الجديد للاونسكو ان يعطي لفكرة « التسييس » قيمتها الحقيقية وبعدها الطبيعي كرد على هذه الاحكام المفرضة المتعجلة (...)

واخيرا ، اذا كان صحيحا ان الحقائق الثقافية يجب ان تنفصل عن الحقائق السياسية ، فسينتج عن ذلك مقاربة وامثلة للثقافة وصفها مقال نشرته « تونوفيل اوبسرفاتور » بتاريخ ٥ كانون الثاني ١٩٧٥ بانها كاريكاتورية تماما ، وخطرة ، وبائدة ..

« ان الفصل التجريبي للعلم والثقافة والتربية عن بني المجتمعات وسياساتها واهدافها التي تمارس فيها سيؤدي الى اعتبار هذه النشاطات الانسانية مقطوعة عن اسسها الاجتماعية بمقدار ما هي مقطوعة عن نتائجها . وسوف تكون بذلك تربية « البرج العاجي » وعلمه وثقافته ، وليس دراسة دورها في المجتمعات ، واستخدامها الواعي من اجل تقدم مجتمعاتنا . »

والانطباع العام الذي تخلفه الدورة الثامنة عشرة للمؤتمر العام في الاذهان ، بالنسبة لدورها التاريخي ، يمكن ان يلخص بما يلي :

كتبت « جون افريك » بعدد ٧ كانون الاول ١٩٧٤ تقول :

« ان العنصر الاكبر يبقى مع ذلك بروز كتلة تاريخية تظهر العلاقة الوثيقة في التحالف بين البلاد الاشتراكية التي يقودها الاتحاد السوفياتي وبين البلاد العربية . هذه الكتلة وحدها تبلور الاكثرية .. وقد غير هذا العنصر الجديد علاقات القوى ، وللمرة الاولى ، فقدت القوى التقليدية المبادرة . وقد كشف لنا عن ذلك التصويت على القرارات التي اعتبرها جميع المشاركين قرارات حاسمة ، قرارات ـ روائز . »

قد تكون غاية الصحافة اذن ، من هذه الطرق الاعلامية المسرحية، السعي الى التعويض عن هذه البداية الجديدة ، والعمل على ايجاد التوازن مع تلك الديناميكية المنبثقة التي رأيناها ترتسم في هذه الدورة الثامنة عشرة للمؤتمر العام للاونسكو .

رفيق سعيد

مندوب تونس الدائم لدى الاونسكو

روايات ومسرحيات مترجمة

من منشورات دار الآداب

ابك يابلدي الحبيب	آلان بيتون	الشوارع العارية	فاسكو براتوليني
زوربا	نيكوس كازنتزاكي	الجحيم	هنري باربوس
انا وهو	البرتو مورافيا	ماريانا	لورك
الانتباه	البرتو مورافيا	هيروشيما حبيبي	مارغريت دورا
مدام بوفاري	غوستاف فلوبير	نساء طراودة	جان بول سارتر
السفير	موريس ويست	تمت اللعبة	» »
قصة حب	اريك سيفال	مسرحيات سارتر	» »
الموت حبا	بيار دوشين	الغثيان	» »
الموت السعيد	البير كامو	دروب الحرية ١/٣	» »
العراب	ماريو بوزو		